وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة "محمد بوضياف" المسيلة

الملتقى الوطني الأول

حداثة الكتابة الأدبية والصحفية في أعمال الراحل عياش يحياوي

الاسم واللقب: البشير بختي

الرتبة العلمية: محاضر أ

البريد الالكتروني: bachir.bakhti@univ-msila.dz

رقم الهاتف:0670299572

جامعة "محمد بوضياف" المسيلة

المحور الثالث: قراءة في الأعمال الأدبية والصحفية للإعلامي عياش يحياوي

المداخلة: أزمة المثقف الجزائري في شعر عياش يحياوي

ملخص:

يبدو أن الشاعر عياش يحياوي عاصر حياة صعبة، كغيره من الأدباء والمثقفين الجزائريين الذين اكتووا بنار الأحداث في العشرية السوداء من القرن الماضي، بالإضافة إلى ما عاناه كإنسان آمن بنهضة وطنه ورفعة شعبه، وعمل على قراءة الواقع بعيون ناقدة ليقدم بديلا حضاريا من خلال رسالته الشعرية.

وقد عالج الشاعر في مجموعة من أشعاره قضية المثقف ودوره في نشر الوعي وتحرير الإنسان وما يعيق تطوره، إلى جانب ما يحمله الراحل من الوجع الإنساني، فهو رجل يأتي من الجنوب الجزائري الفقير والمعزول عن الشمال، كما أن الشاعر يعرف جيدا ما يجري في واقعه من بؤس

وضياع وإحباط، ناتج عن شعوره بالاستلاب وإحساسه بعدم الانتماء إلى جانب عدم تقدير كفاءته وقيمته الفكرية والثقافية. ثم ما ينتظره من عمل فكري لإصلاح وعلاج ما يمكن علاجه.

ويسعى البحث إلى قراءة مجموعة من أشعار الراحل، قصد كشف أزمة الرجل المثقف وهو يعيش أوجاع وطن مزقته الخلافات السياسية والصراعات القبلية والإيديولوجيات الوافدة، إلى جانب ما فعلت به أوجاع الحياة وما حملته من مفاجآت ومآسي.

وقد استعنت بالتأويل لقراءة وفهم الرموز التي وظفها الشاعر في قصائده المختارة.

الكلمات المفتاحية: أزمة، المثقف، الثقافة، السلطة، الشعر.

1 ـ مفهوم الثقافة ودورها:

باحتلال فلسطين سنة 1948م وهزيمة حزيران 1967م وجد الأدباء والمفكرون العرب أنفسهم في مأزق حضاري، إذ تعرض المثقفون للمساءلة عن دورهم وعن جدوى مشروعهم الثقافي في ظل الانهيار الحضاري وبداية تشكل الدول الوطنية ومنها الجزائر وما عرفته من أحداث خاصة في التسعينيات من القرن الماضي.

انتبه المفكرون إلى دور الثقافة في توعية المجتمعات وتشكيل عقليتها والدفاع عن حقوقها، وقد "صار مفهوم الثقافة في القرن العشرين عنصرا جوهريا في بناء (أنا) الفرد في المجتمع الحديث"[1]، ويبدو أن فكرة الثقافة حديثة جاءت إلى العالم العربي من أوربا وهي ثمرة من ثمرات عصر النهضة والأنوار وذلك عندما شهدت أوربا في القرن السادس عشر انبثاق مجموعة من الأعمال الأدبية الجليلة في الفن وفي الأدب[2].

وقد تباينت مفاهيم الثقافة ودورها في بناء الإنسان وتطوير المجتمع والنهوض به خاصة وأنه مصطلح غربي لم يظهر في العالم العربي. وتعني الثقافة عند مالك بن نبي، بأنها: "التعبير الحسي عن علاقة الفرد بهذا العالم أي بالمجال الروحي الذي ينتمي فيه وجوده النفسي، فهي نتيجة هذا الاتصال بذلك المناخ"[3]، صارت الثقافة في وقتنا الحاضر تؤثر في المجتمعات

[1] مالك بني نبي: مشكلة الثقافة، دار الفكر، سورية، 2019، ص23.
[2] المرجع نفسه، ص25.
[3] المرجع نفسه، ص51.

الإنسانية، كأن تدافع عن الحريات الخاصة والعامة وتدرب الناس على التفكير العقلاني والعمل الايجابي المنتج، ليحيلنا مصطلح الثقافة إلى مصطلح أزمة المثقف المعاصر.

2 ـ أزمة المثقف المعاصر:

برز دور المثقف في عصرنا الذي نعيش فيه، بعد أن ظهرت الثقافة بمفهومها الجديد، الذي يأتي من خلال ما ينتجه الأدباء والفلاسفة والمفكرون من فنون وآداب وفلسفة وفكر، إذ يعتبر المثقف "إنسان شديد التأثير في وسطه الاجتماعي وفي محيط عالمه وعصره وذلك لما له من قوى فكرية خاصة ومواهب روحية ونفسية متميزة"[1]، ويحصل المثقف على هذه الميزات والخصائص من خلال ما يطلع عليه من كتب ومن أفكار وآراء غيره من المفكرين والمبدعين وما عاشه من تجارب، تجعل رؤيته أوسع لمشكلات عصره وأكثر إدراكا للتطورات الجديدة الحادثة في واقعنا، فضلا عن معرفته بالتراث الذي يعيش فيه، فالمثقف "له تكوينه الذاتي ونشأته الخاصة، وهو وليد مرحلة تاريخية محددة يعيش واقعا اجتماعيا وسياسيا معينا، ويتأثر بالموروث الثقافي لمجتمعه وأمته وعصره وبما يحدث في الواقع الخارجي، ويجتاز عديدا من التجارب ليكتسب الكثير من الخبرات"[2]. وإلى جانب ذلك يتميز المثقف بالروح المستقلة والموضوعية والنقدية والتحري وحب الاستكشاف.

غير أن المثقف يجد من العقبات ما تمنعه من إيصال أفكاره إلى الآخرين ما يجعله في حالة من التأزم، حيث يرى زكي نجيب محمود أن المثقف المأزوم: "هو إنسان حَمل في رأسه أفكارًا، واعتقد بأنها أفكار لا بد من بثِّها لتطوير الحياة وأشكالها، لكنه حين همَّ بنشرها، صدمته العوائق التي تَحول دون ذلك النشر؛ وقد تكون تلك العوائق من صنْع الآخرين آنًا، ولكنها كذلك قد تكون — آنًا آخر — حيرةً في نفسه هو، وذلك إذا ما تعدَّدت أمامه سبل الوصول، فلا يدري ماذا يختار منها وماذا يدع"[3]. كما يدخل المثقف في حالة من الصراع الداخلي حين يجد نفسه محصورا بين أن يحافظ على هويته وبين أن يعاصر زمنه الذي يعج بالجديد.

---

[1] الشاذلي، شخصية المثقف في الرواية العربية، دار الحداثة، بيروت، ط 1985،1، ص8.
[2] حسين عيد، المثقف العربي المغترب في الرواية الحديثة، مجلة عالم الفكر، الكويت، يوليو، ع1، 1997، ص286.
[3] زكي نجيب محمود، هموم المثقفين، مؤسسة هنداوي، مصر، 2019، ص12.

إلى جانب أن بعض المثقفين لا تسعفهم ظروف عيشهم في متابعة الفكر الجديد، وهذا ما يجعلهم في حالة من التأزم. وتعد الأمية عائقا على تقبل واستيعاب أفكار المثقفين الجديدة ومتابعتها.

ومن المصاعب التي تواجه المثقف في إيصال أفكاره أن تتحول الجامعات إلى مجرد مدارس للحفظ، فتخرِج شبابًا منحصرًا في محيطِ ما قد حفظ، ثم لا جديد، ونظل قعودًا فاغِرِي الأفواه ننتظر الصدقة الفكرية من سوانا، وكأننا لسنا جزءًا من العالم الذي نعيش فيه[1]

3 ـ المثقف الناقد:

يكاد يحياوي لا يهدأ له بال لكونه شاعر يتميز بلطافة حسه وعمق تفكيره، فهو دائم الاهتمام بقضايا الناس، ولذلك تراه يعيش حالة من الضياع، لأنه لا يجد وسيلة لتغيير واقعه أو لأنه لا يجد حلا لانتشال مجتمعه مما هو فيه. والمثقف الحقيقي هو الذي يتكلم بصوت واضح وينتقد من دون تردد ويصحح المفاهيم ويوجه الناس، ويحرر الأفهام من الزيف ومن المعتقدات البالية، يقول ادوارد سعيد: "المثقف باعتباره شخصا متفردا قادرا على أن يقول كلمة الحق في مواجهة السلطة، وهو سريع الغضب فصيح اللسان، شجاع إلى درجة لا تعقل، وثائر لا يرى أن ثمة سلطة دنيوية أكبر وأقوى من أن ينتقدها ويوجه اللوم إليها"[2].

ومن القصائد التي عبرت عن هذا المعنى ما جاء في قوله:

ألعن ليل الحكومات

أعوي بما في دمي من خزامى

أعلق شعري بكل خراب اليتامى:

لماذا تريدونني أن أبيع الأثافي

وخيل أبي وعماد الخيام

[1] زكي نجيب محمود، هموم المثقفين، ص21

[2] ادوارد سعيد: المثقف والسلطة، تر: محمد عناني، رؤية للنشر والتوزيع، القاهرة، مصر، 2006، ص24.

سأكتب ناقتنا تصبح دبابة في المنافي[1]

يحاول المثقف يحياوي أن ينقد سياسات الحكومة ويعارض أفكارها ويوجه المجتمع إلى أن تراثه، لا يمكن أن يتعارض مع قيم الحداثة وأنه من الواجب علينا أن نتفاعل معه كأمة فاعلة تعيش قيم الماضي وتحلم بمجد الحاضر وهذا يعني أن الشاعر يحمل مشروعا فكريا وإنسانيا وثقافيا متكاملا يعمل فيه على نهضة الأمة، ولن يتأتى ذلك إلا بمحاربة جنود الظلام وأعداء الثقافة والعلوم والفنون الذين يعملون عكس التطور، ويحاولون إيقاف عجلته، يقول يحياوي عن رسالته وحالته التي يعيشها على الدوام:

رأيته مسافرا في الصحو والغمام

يحمل في أعماقه الضياع والوئام

سألت عن أخباره فقيل لي: خصام

محتدم في صدره مشتعل الضرام

ما بين دنيا عاشها وقلبه الهمام[2]

إن الشاعر الذي يحمل مشروع الأمة ويدعو إلى التطور هو رجل يحترق من الداخل، يعيش الضياع إن رأى وطنه يتوجع، ويفرح إن رأى بصيص أمل ينقذه من الحالة التي هو فيها، لقد أدرك بوعيه وحسه الفني وبمعاينته للواقع المشكلات التي يعاني منها المجتمع وعرف السياسات الخاطئة التي جرت البلاد إلى هذا التيه والتمزق، وعرف أن الفقراء هم وحدهم من يؤمنون بهذا المشروع وهم من يكتوون بنار الوطن، لذلك خصهم بهذه الأبيات التي يقول فيها:

فقراء ..تلوكنا الوحشة البل هاء والصمت واللظى والعذاب

فقراء تنهار في عمقنا الأح لام حسرى وتسحق الإرب

---

[1] عياش يحياوي: ما يراه القلب الحافي في زمن الأحذية، مجلة نوى، مؤسسة عمان للصحافة والأنباء والنشر والإعلان، ع16، أكتوبر 1998، ص63، ص64.

[2] عياش يحياوي: الشاعر والناس، مجلة الثقافة، السنة الثانية عشر، ع70، يوليو، 1982، ص113.

فقراء نحن القوافل في التا ريخ تسعى وإن تصدى السراب[1]

4 ـ المثقف الجزائري والعشرية السوداء:

مرت الجزائر بمرحلة عسيرة كادت أن تعصف بأركان الدولة، بعد أن تفجرت الأحداث بين مكونات الأحزاب السياسية الجزائرية، بسبب الخلافات وحب الأنا والنظرة القاصرة وتدخل الجهات الأجنبية التي كان لها دور كبير في إذكاء نار الفتنة بين أبناء الشعب الجزائري وبين أطيافه السياسية. وفي أثناء هذه المواجهات تعرض الناس إلى التهجير والقتل والظلم والتحقير، ووجد المثقف الجزائري نفسه بين هؤلاء الخصوم، فلا هو قادر على وقف ما يحدث ولا هو قادر على لملمة جراح مجتمعه، ثم إن المثقف نفسه قد تعرض في التسعينيات، بسبب عمله النقدي تجاه السلطة والمجتمع إلى استهدافه، وفي هذا المعنى يعبر الشاعر عن وجعه في قصيدة رسالة عتاب إلى بلادي، يقول:

سحقتنا الأشواك في عتمة الليل هشيما، وداسنا الإرهاب

...

مزقتنا الرياح شرقا وغربا وارتوت من دموعنا الأعتاب .. [2]

ومن الأخطاء التي وقع فيها المثقف الجزائري الذي تم استهدافه، أنه لم يتنبأ بالأحداث التي وقعت في التسعينيات من القرن الماضي، كي يستبق لها حلولا ولذلك كان من أوائل ضحاياها. فالمثقف الذي يسير بعقلانية لا يمكن لقطار الزمن أن يفوته أو يفرض عليه منطقه الخاص. وقد ألمح الشاعر إلى هذا المعنى في إحدى قصائده التي يقول فيها:

نحسب الدرب عسجدا وحريرا وهوان حسابنا وخراب[3]

وقد أفضت هذه الحرب الأهلية إلى زعزعة المجتمع واستقراره وضرب مقومات هويته وشخصيته الوطنية وكادت تعصف به، يقول الشاعر:

كل شبر من العروبة جرح شامخ الرفض ما عليه نقاب

....

[1] عياش يحياوي، مجلة البيان، رابطة الأدباء في الكويت، ع154، يناير 1979، ص19.
[2] المصدر نفسه، ص19.
[3] المصدر نفسه، ص19.

حسرات الإسلام دفق مآسي نا وشكوى الخيول ..يا أحباب[1]

5ـ المثقف والحرية:

يبدو أن الشاعر يحياوي أدرك قيمة المثقف ودوره في تحرير أمته وشعبه، ولذلك فهو دائما ما يسجل حضوره بإبداء موقفه تجاه الأحداث التي تهم المجتمع فإما أن يكون مدافعا عن قيمه أو مستنهضا للهمم وفي هذا، يقول:

الويل للأيام من غضبي ومن سخطي ومن أنوائي ومن إعصاري

الويل للمثل التي عايشتها لا يزهر الإلهام في الأقذار

...

أنا إن تعبت فللجذور براعم ممتدة عبر امتداد أواري[2]

إذ يحذر الشاعر كل من يقف ضد مشروعه الوطني، بأنه سيفعل أي شيء لينال من أعدائه ولن يستسلم وأن الأجيال القادمة ستحمل مشروعه وستقاوم.

أدرك يحياوي أنه يجب على المثقف أن يسجل موقفه ولا يدع الأحداث تمر على شعبه مرور الكرام، باعتبار أنه رجل يتأثر كغيره من أبناء أمته بما يحصل في مجتمعه وأنه لا يعيش في برج عاجي، فهو فاعل فكري قادر على فهم ما يجري من أحداث وترجمة واقعه إلى إشكاليات فكرية، والتعامل الفعال معها بعقلانية وما يتطلبه الوضع من قرارات وممارسات، يقول:

أنا ما نويت بأن أعيش فردا هرم المآسي باكي الأسفار[3]

وتعبر قصيدة ما يراه القلب الحافي في زمن الأحذية حاجة المثقف إلى الحرية التي تسمح للشاعر أن يبث فكره ورؤيته تجاه ما يحدث في مجتمعه من قضايا، والمساعدة على يقظته ووعيه، يقول:

أريد سماء أكتب بزجاجها الأزرق سؤالي،

وأموت ...

---

[1] المصدر السابق، ص19.

[2] عياش يحياوي، نشيد على المرفأ، مجلة الثقافة، دمشق، أيلول 1979، ص68.

[3] المصدر نفسه، ص68.

أريد وطنا، انقرض فيه الشيوخ...

لأمشي عاريا كالهواء.. [1]

ولتغيير أي سياسة أو وضع خاطئ يجب على السلطة أن تهيأ الظروف المناسبة لقول الحقيقة للناس وتسمح بإبداء الآراء المخالفة دون تحديد سقف لها وأن لا تحجر عليها وتساعد على نشرها ولا تقوم بقمعها، كما ينبغي على المجتمع أن يتقبل هذه الآراء ويتفاعل معها خاصة وأنها تصدر من المثقفين العارفين بمشاكل شعوبهم، يقول:

أريد بشرا أقتلع عيونهم، لأمارس مع طفلة

الجيران، لعبة الكويرات

...

أريد تقسيما جديدا للكرة الأرضية، أنا لا آخذ إلا

مكان اللقاء الأول

أريد فكرا يسمح للخيانة أن تتكلم فقد طال عملها

في المعارضة السرية...

...

أريد فقيها يجيبني لماذا نحب الفراش، ومهنته اليومية خيانة الزهرة الأولى[2]

قد يعجز الإنسان العادي عن رؤية الحل وربما يئس من واقعه المر إلا أن الشاعر مستيقن بأن الفجر آت لا محالة وأنه لن يتنازل قيد أنملة عن مشروع الشهداء ولن يخون وطنه وسيبقى وفيا لمبادئه, يقول:

استوطنتني الوحوش وريح البراري

...

وأعبث بالأرض أنكرها وأشكلها

مثل جمجمة وأغني لمن تاجروا بالحروب

أبيع دم الشهداء بحفنة شعر، وأركض

---

[1] عياش يحياوي، ما يراه القلب الحافي في زمن الأحذية، مجلة نوى، مؤسسة عمان للصحافة والأنباء والنشر والإعلان، ع16، أكتوبر 1998، ص187.

[2] المصدر نفسه، ص188.

يا راعي الغنم إن نمت لم أنم

...

إني أرى هل ترون

أرى في غدي سنبلة

...

أرى شجرا من دمي يتغذى

ولكن أثماره مرة في المذاق[1]

إلا أن المجتمع ليس دائما ضحية السلطة، بل قد يكون ضحية نفسه أيضاً، ضحية تخلفه الثقافي، وما دام الشعب في حالة تأخر ثقافي، فإن شيئاً من أهدافه لن يتحقق[2].

6 ـ الشاعر والاغتراب:

من غير الممكن أن يتجاوز المثقف العربي واقعه المأزوم وما تفرضه السياسة من حدود عليه، فيضطر إلى أن يكون مغترباً عن وطنه، حتى وإن لم يرحل عنه فهو يغتربُ بنفي نفسه عن وطنه طوعا، ورغم أن المثقف يعد من طليعة المجتمع إلا أنه يرى نفسه غريبا عن وطنه، يقول إدوارد سعيد: "المثقف فرد وهب قدرة لتقديم وتجسيد وتبيين رسالة أو رؤية أو موقف أو فلسفة أو رأي إلى جمهور ولأجله أيضا ولهذا الدور له مخاطره ولا يمكن للمرء أن يلعبه دون الشعور بأن مهمته هي طرح الأسئلة المربكة علنا، ومواجهة التزمت والجمود لا توليدهما"[3]، إن الدور الذي يلعبه المثقف يجعله عرضة لمخاطر عديدة تصل إلى السجن أو النفي أو القتل، يقول الشاعر:

هل طائر يعبر الروح هذي العشيات

يغمس ريشي بجرح الكهانة

---

[1] عياش يحياوي، إنخطافات الليلة الثالثة، مجلة المسار، اتحاد الكتاب التونسيين، ع9، ربيع1991، ص125، ص126.

[2] عبد الإله بلقزيز: نهاية الداعية، الممكن والممتنع في أدوار المثقفين، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، بيروت، 2000، ص 117.

[3] إدوارد سعيد، الآلهة التي تفشل دائما، تر: حسام الدين خضور، دار الكتاب العربي، التكوين للطباعة والنشر، بيروت، 2003 ص 24.

يلبسني قبعات الحنين

أراني مثل الدراويش تتبعني غربتي

...

من يتبنى بلادا وينقذ سنبلة الروح

من غرفة النوم هذا المساء

ألا هل لأطيار أحلامنا من سماء..؟ [1]

خاتمة:

ـ يعيش المثقف العربي حالة اغتراب داخل مجتمعه، بسبب الهوة الموجودة بينه وبين أصحاب القرار من جهة، والمجتمع من جهة ثانية.

ـ يتعدد الإرهاب بأشكاله المتعددة، وهو الذي يمنع البناء الاجتماعي ويحارب التقدم والتطور.

ـ يشكل حضور المثقف العربي في المجتمع صمام الأمان الذي يوجهه الناس نحو التطور والتجديد

ـ يبني المثقف العربي مجتمعه، وينشر قيم التسامح والمحبة والروح الوطنية والإنسانية.

المصادر والمراجع:

1 ـ إدوارد سعيد: المثقف والسلطة، تر: محمد عناني، رؤية للنشر والتوزيع، القاهرة، مصر، 2006.

2 ـ إدوارد سعيد، الآلهة التي تفشل دائما، تر: حسام الدين خضور، دار الكتاب العربي، التكوين للطباعة والنشر، بيروت، 2003.

3ـ عبد الإله بلقزيز: نهاية الداعية، الممكن والممتنع في أدوار المثقفين، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، بيروت، 2000.

[1] عياش يحياوي، ديوان ما يراه القلب الحافي في زمن الأحذية، المجلس الوطني للإعلام الإمارات، ط2، 2008، ص58.

4ــ حسين عيد، المثقف العربي المغترب في الرواية الحديثة، مجلة عالم الفكر، الكويت، يوليو، ع1، 1997.

5 ــ زكي نجيب محمود، هموم المثقفين، مؤسسة هنداوي، مصر، 2019.

6 ـ الشاذلي، شخصية المثقف في الرواية العربية، دار الحداثة، بيروت، ط1، 1985.

7 ـ عياش يحياوي، ما يراه القلب الحافي في زمن الأحذية، مجلة نوى، مؤسسة عمان للصحافة والأنباء والنشر والإعلان، ع16، أكتوبر 1998.

8ـ عياش يحياوي: الشاعر والناس، مجلة الثقافة، السنة الثانية عشر، ع70، يوليو، 1982.

9ـ عياش يحياوي، مجلة البيان، رابطة الأدباء في الكويت، ع154، يناير 1979.

10ـ عياش يحياوي، نشيد على المرفأ، مجلة الثقافة، دمشق، أيلول 1979.

11ـ عياش يحياوي، إنخطافات الليلة الثالثة، مجلة المسار، اتحاد الكتاب التونسيين، ع9، ربيع1991

12ـ عياش يحياوي، ديوان ما يراه القلب الحافي في زمن الأحذية، المجلس الوطني للإعلام الإمارات، ط2، 2008.

13 ـ مالك بني نبي: مشكلة الثقافة، دار الفكر، سورية، 2019.